هلاوس روح

info@darak-eg.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

هلاوس روح
إسلام يعقوب التحيوي
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغـوي- تنسيق داخلي:
www.sekoon.com

رقم الإيداع: 2017/27135
الترقيم الدولي: 978-977-6634-06-0
الطبعة الأولى: 2018

إسلام يعقوب التحيوي

هلاوس روح

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

هو إهداء عمليًا بعض الشيء

أستاذ «حسن أبوسيدو».. رجل الأعمال الأردني الناجح الذي وضع الإنسانية في أبنائه فأنتج «روان أبوسيدو» ابنته اللتي تجهتد دائمًا لمساعدة أهلها السوريين على الحدود.. وسوريا أنتجت «مروة الإسلامبولي» من قلب دمشق لتقدم رمزًا لنجاح المرأة العربية تحت ظروف الحرب.. وللنجاح طرق مختلفة وأهمها طريقة «هبة قنديل» حيث تكافح بعملها في الإمارات بينما تجاهد في مصر بتقديم كل ما لديها للمشردين في الشوارع.. ومن شوارع الدار البيضاء في المملكة المغربية هناك «أيوب» الذي يجاهد لنشر الفكر والثقافة دون أي مقابل.. وللفكر هناك «علي عزيز» الفلسطيني المقيم بغزة وهو المتمسك بأن لحرية أرض فلسطين يومًا ويجب أن يأتي.

يحيى الشربيني.. الطفل صاحب الشعر الطويل «المنعكش».. أستنشق الأمل والمستقبل من ضحكاته.. وتزداد الضحكات جمالًا كلما زادت خصلات شعره «المنعكش» طولًا.. ربنا يخليه ويحفظه لبابا شربيني وماما نفين.

لكل منكم نمط حياة أو موقف أو قرار أو شخصية أو ابتسامة.. تجعله شريكًا أصيلًا في تلك الرواية.

لا أستطيع أن أهدي أي شيء لوالديَّ.. فأعظم ما سأصنعه في حياتي هو أقل بكثير من عطائهم لي ولإخوتي الأعزاء.

أبي هو من زرع فينا البذرة الطيبة القوية.. و كان السبب في عشقي للقراءة والكتابة بالرغم من كوني كنت طفلًا لا يبدو عليه سوى الهمجية و «الشقاوة» فقط.. الله يرحمه ويجعلني ذرية صالحة ترسل له الحسنات في قبره.

أمي هي المرأة التي تخلت عن كونها سيدة بعد موت زوجها لتتحول إلى الرجل القوي المصابر المعافر / عفاف عبد الونيس شحاتة. كانت مثالًا للأم المشرِّفة.. لتصبح رمزًا للأب المشرف.. الله يطول في عمرها المفيد لكل أبنائها.. ويرزقها الصحة والعافية.

(1)

جسدٌ قد ملَّ من انتظار مَن يدفنه.. قطعة القماش البيضاء التي تلتف حول الوجه لتمنع الفك من السقوط تحوَّل لونها من الأبيض إلى الأصفر، حيث مرت أيام بدون بتغييرها.. تحول لون الوجه من الأسمر إلى الأبيض العاكس للّون الأزرق كأنه قطعة ثلج مهمَلة أمام بائع التمر في شهر رمضان.. ذبلت الجفون وبدأت العين في التحلل.

سألت نفسي: لماذا أتأمل هذه الجثة دون غيرها؟ وحينها، أفزعتني الإجابة.. فهذه الجثة هي جثتي! نعم هي جثتي.. سريعًا ما أعقبت إجابة سؤالي أسئلة أخرى: كيف أتحرك وأنا بلا جسدي؟ كيف أرى جسدي بدون عينيَّ؟ كيف أسمع صوت موتور ثلاجة الموتى بدون أذُني؟ كيف أشم رائحة جسدي بدون أنفي؟ وكيف أسأل نفسي كلَّ هذه الأسئلة وأفكر فيها وأنا بدون عقل؟

ذهبت أسئلتي بتفكيري إلى راحة بعض الشيء.. فليس هناك أي تفسيرٍ لما يحدث سوى أني ميت.. نعم أنا ميت.. وما يؤكد هذا هو أني عِشت طيلة عمري متدينًا ملتزمًا بديني.. فقد كنت أحاول دومًا التقرب إلى الله والبُعد عن شهوات الدنيا وما فيها.. وما يحدث الآن يؤكد أنني ميت ولن أُعذَّب في حياتي الأبدية.

يجب عليَّ الآن الاستمتاع بالسعادة التي أشعر بها.. سعادة العلم بأن ربي رحمني بفضله من عذاب الآخرة وسيدخلني إلى جنته.. حقًّا إنها سعادة لم أكن أتوقع وجودها من الأساس.. فكم تحملت في

حياتي من عناء لأبعد عن الشهوات المحرمة.. كم قسوت على نفسي لأبعد عن أطماع الدنيا.. وها أنا الآن في لحظة الفوز بما حققته من إنجازٍ كان من الصعب تحقيقه وأنا أعيش بينكم يا سُكَّان هذا العصر.. الآن أصبحت المتدين الذي استطاع أن يكون من المباركين برضا ربهم عنهم.. الآن فقط انتهت حروبي مع الشيطان الذي لم يكن يكفّ عن الإلحاح عليَّ لأفعل أي شيء يغضب ربي مني ويزيد من كافة سيئاتي في (اليسار) تبًّا لك أيها الشيطان.. تبًّا لخفة حركتك وسرعة أدائك وحُسن مراوغتك.. فقد استخدمتهم بقدرتك علي التخفي بين الناس والتحدث من خلالهم لتأتيني في كل مكانٍ وكل وقتٍ.

أنا الآن أمام بوابة الحياة الأبدية.. سوف أرتدي كفني ساطع البياض، سوف أدخل الخشبة حتى يحملني أحياء الدنيا على الأكتاف فيحتفلون بآخر رحلة لي على الأرض قبل أن يُدفَن جسدي فيها وتحلِّق روحي في السموات العليا قبل العروج لآخر حدود الكون.. يا لها من متعة حين أسمع وأنا بداخل الصندوق الخشبي أصواتًا تصيح بصوتٍ عالٍ: "الله يا دايم هو الدايم ولا دايم غير الله".. فهذا الصوت سيكون احتفالًا بقربي لمثواي الأخير في قبري.. ومن قبري تصبح المحطة الأخيرة حتى يوم القيامة.. ومنها إلى جنة الخلد.

لكن! أين سكرات الموت؟! لماذا لم أشعر بها؟! فمن الطبيعي أن أكون قد نجوت من عذاب تلك السكرات التي كثيرًا ما ارتعبت منها.. كثيرًا ماتخبط جسدي لدى سماعي عنها.. ولكني لم أمرّ بحلو هذه السكرات كما كنت أسعى طوال حياتي.. أين سكرات موتي؟! وجسدي! لماذا لم يدفن جسدي حتى الآن؟.. وأبنائي! لماذا لم يأتِ أيٌّ منهم حتى الآن؟ لماذا تركوني كل هذه المدة؟!.. لماذا لم أرَهم

واقفين خلف باب غرفة ثلاجة الموتى وحزن الفراق يملأ قلوبهم.. لماذا لم يدخل أحدهم من الباب حاملًا كفني ليلتف حول هذا الجسد المهمَل استعدادًا لدخول الخشبة؟.. وصفية.. صفية كان يجب أن تكون بجانبي الآن ليدور بيننا الحوار الأخير.. كان يجب أن تقبّل جبهتي قبل تغطية رأسي بالكفن لتقول: مع السلامة يا حبيبي.. وأتوعدها أنا بأني سأزهد عن حوريات الجنة ولن آخذ منهم شركاء لها في قلبي.

سريعًا ما فقدت شعوري بالسعادة وقررت تأجيله.. فيجب عليّ ترك غرفة ثلاجة الموتى التي تأوي جثتي لأذهب بحثًا عن أولادي.. سأنطلق إليهم متعجبًا مما أفعله.. فكيف أوجل سعادتي بفوزي بالجنة لأبحث عن أبنائي؟ وكيف يحركني الفضول البشري في تعداد الأموات؟!

سليمان، وشعيب، وسمية. أبنائي الذين أعطيت لهم حياتي.. كل ما أردته منهم فقط هو نبرات أصواتهم وهم يتلون آيات القرآن الكريم من أجلي.. أسمع دعاءهم لي في آخرتي.. أشعر بهم يُسكِنونني مثواي الأخير لأكون في ذمة الله، أن ينالوا شرف الطواف حول بيت الله الحرام.. هذا الشرف الذي لم أنَله لأوفِّر لهم حياتهم.. كي أصنع لهم مستقبلًا باهرًا يرضي عنه الرب ليلحقوا بي لآخرة خالية من جهنم. إنها رحلة العطاء من حياتي.. والآن رحلة العطاء لهم في حياتي بدأت رحلة عطاء أخرى من أجلهم، ولكن هذه المرة سأعطيهم أهم فترات مماتي.

وبدأت الرحلة حيث إحساسي بانقسامي لثلاثة! ثلاثة أملكهم جميعًا ولكن لكلٍّ منهم مصيره الخاص وشعوره المختلف..

جسدي أتركه في غرفة الموتى المظلمة

روحي تسمو خارج حدود الدنيا الملوثة

وأخيرًا نفسي وهي تتجه نحو الباب.. كانت سرعتي بطيئة.. والغريب أني عبرت الباب دون أن ألمسه، والأغرب أنه بمجرد عبوري الباب لم أرَ شيئًا على الإطلاق سوى ألوانٍ مبهجة تتحدث إليَّ بصوت جميلتي صفية لتخبرني بأني ذاهب حيث يتواجد أبنائي.. تركتها وانطلقت للدنيا بعدما تأقلمت بعض الشيء على أن أقوم بأشياء تحتاج روحًا وجسدًا.. وأنا بدونهما.

"الآن فقط أعرف حقيقة الدنيا.. بعدما دخلت عالم الموت"

* * *

(2)

بعد خروجي من غرفة ثلاجة الموتى، وبعد قراري بالاستسلام لأي شيءٍ غريبٍ يحدث.. رأيت ألوانًا متداخلة.. لا أدري هل أنا مَن أقترب منها أم أنها هي التي تفعل.. ولكننا اقتربنا حتى أصبحت تحيط بي من كل اتجاه ولا أرى غيرها.. هو خليطٌ من كل الألوان التي رأيتها في حياتي ومعها ألوان أخرى لم أرَها من قبل.. ليس فيها لون واحد يسيطر على باقي الألوان، باستثناء الأبيض الساطع والأسود الكاحل! ولكن مالي أنا ومال كل هذا! فيجب أن أنفذ استسلامي لأي شيء غريب كما قررت؟.. أغمضت عيني حتى أنتظر الوصول لأحد أبنائي.. ولكني بقيت أرى تلك الألوان حتى بعدما أغمضتها.. فمن الواضح أن عدم وجود عينٍ لدي من الأساس، يجعلني لا أستطيع التحكم فيما أراه.

دارت الألوان وكأنها تتعارك.. ورأيت حياتي تظهر لي من داخلها بوضوح.. وبالرغم من أن السبب في كل هذا هم أبنائي إلا أني رأيت حياتي قبل إنجابهم، بل إني رأيت حياتي قبل أن تبدأ من الأساس حيث سنوات كثيرة سبقت مجيئي إلى الدنيا كنت لا أعلم عنها شيئًا إلا من حكايات كانت تُروى لي عن أصلي وفصلي.

أنا العبد لله الذي ما فعل شيئًا إلا لطاعته "روح الله ألماس عبد الحي" كان يلقبني أهل الدنيا بـ "روح". أما عن كلمة "ألماس" فقد كانت تغضب أبي كثيرًا حين كنت أكتبها "الماس" بدون وضع الهمزة

على حرف الألف.. وكنت أفعل هذا سهوًا منّي ولكن الأمر كان يعني لأبي الكثير.. فأبي وأمي أبناء عم.. ولما أراد جدي عبد الحي الزواج من بنت عمه (جدتي) لقي القبول وكان خبرًا سارًا للعائلة.. وكانت المشكلة البسيطة هي أن جدي "عبد الحي" استنفد كل ما يملك من أموال لبناء غرفة من الطين بجوار الغرفة التي يعيشون فيها.. فاشترى لجدتي عقدًا من الفضة ليكون (شبكة) الجواز.. رضي والد جدتي بالعقد وكان إعطاء ابنته لابن أخيه الذي يحبه أهم من أي شيء.. أما جدتي فكانت سعادتها بالغة حين لمس العقد صدرها في يوم الزفاف.. وبهذا لم يمنع ذلك العقد الفضة زغاريد نساء العائلة والجيران والمعارف.. فهم أناس بسطاء، كما أن ثمن ذلك العُقد الفضة لم يكن هينًا بالنسبة لهم.

عبد الحي وحده من أطلقت نيران القهر داخله بسبب فشله في شراء شيء ذهبيّ لبنت عمه وفتاة أحلامه، ومَن أخمد تلك النيران قليلًا هذا اليوم هي جدتي التي شعرت بأوجاع فتى أحلامها لتقول له: مسيرك تعوَّضني بشبكة من ألماس. وكان "عبد الحي" لا يعرف أي شيءٍ عن الماس سوى أنه حجر غالٍ وباهظ الثمن.. مثله مثل كل الأحجار الكريمة التي يسمع عنها.. ولكنه فرح جدًّا بفكرة محبوبته وبدأ منذ صباح اليوم التالي الأجتهاد في عمله طامحًا في شراء عقدٍ من الماس.

وبعد سنة تقريبًا حصل جدي على حقيقة سذاجته من "محمود" الطالب الجامعي الذي يذهب للقاهرة للدراسة ولا يعود إلا في إجازته.

– إلا هو الماس ده بكام يا محمود.. الجرام بتاعه بكام يعني؟

– ماس إيه يا "عبد الحي"؟

– هو إيه اللي ماس إيه! هي الدنيا فيها كام ماس؟ الماس بتاع المرمر والياقوت واللؤلؤ والمرجان؟

– آاااه قصدك الألماس مش الماس!

– وبتنطقها كده ليه يا أخويا خلاص يعني النطق داهوّن هيفرق.

– طبعًا يا "عبد الحي" الهمزة بتفرق كتير.

– طيب يا سيدي.. أأألماس ده بكام؟

ابتسم محمود بسخرية:

– ليه؟ إنت ناوي تشتري فص الألماس ولّا إيه؟

– فص إيه، لأ أنا ناوي أشتري عقد بحاله إن شاء الله.. عشان كده كنت عايز آخد فكرة عن الأسعار.. وكنت عايز أستفهم برضك هو فيه منه عيار 18 أو 21؟ أصلي ما أظنش هيبقى فيه منه غير عيار 24 بس.

– عقد إيه وألماس إيه! إحنا الكفر بتاعنا كله ما يعرفش يجيب فص صغير على بعضه.. ده ولا البشوات والبهوات يعرفوا يشتروه.. إنت بتحكي في خيال يا "عبدالحي".

رجعت نيران جدي إليه من جديد.. عناء واجتهاد للطموح بشراء عُقدٍ من الماس لم يكن إلا مجرد "هبل" –على حد وصف محمود له–.. قضى جدي ساعة من الظلام بعد أن غادر محمود؛ يوسوس له شيطانه بأنه الفقير والجاهل ليس له أي دور في الحياة سوى أن يفترس الأرض بفأسه ليجني منها المحصول الذي يأكل منه ليعيش.. كالحيوان يخرج ليصطاد كي يستطيع أن يأكل، ثم يعاشر أنثاه حتى يمرض ويموت بدون علاج.

ومن نعمة المولى أنه أخرج "عبد الحي" من كل هذا بمجرد وصوله لغرفته الطينية، فقد وجد على بُعد مئات الأمتار من غرفته أجمل خبر في حياته.

"مبروك يا عبد الحي جالك ولد"

– مبروك يا عبد الحي .. إنت جبتلي الماس.. بدل ما تجيبلي عقد ماس جيبتلي إنسان بحاله من الماس.

– إنتي عارفاني وعارفة كلمتي.. لما قُلتلك هجيبه كنت أدّ كلامي.. بس من ساعة بس عرفت ان الماس ده فوق الخيال.. سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر.

– ما أنا كنت عارفة من بدري بس مارضتش أقولّك إلا لما أولد.. أصل أنا هرضى بالعقد الفضة على شرط..

– إيه هو؟

– ضهرك وسندك ده يبقى اسمه ماس.. عشان تبقى عوضتني عن الشبكة.

– يا ولية ما اسموش ماس.. اسمه ألمااااس.

* * *